مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن عند الـمُطَهَّرِ الضَّمَدِي في تفسيره الفرات النمير (من سورة المؤمنون وحتى سورة ص) دراسة تطبيقية (*)

الباحثة/ بشرى بنت حجاج بن علي الثنيان.
ماجستير التفسير والحديث
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.
Bsh.h.th@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 25/5/2021 تاريخ قبوله للنشر 27/5/2021
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن عند الـمُطَهَّرِ الضَّمَدِي في تفسيره الفرات النمير (من سورة المؤمنون وحتى سورة ص)

الباحثة/ بشرى بنت حجاج بن علي الثنيان
ماجستير التفسير والحديث
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.

ملخص البحث

مشكلة البحث:

نظرًا لأهمية معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله جاء موضوع هذا البحث ليدرس مجموعة من ترجيحات الضمدي المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن الواردة في تفسيره الفرات النمير من سورة المؤمنون وحتى سورة ص، والوقوف على وظيفة قواعد الترجيح وفوائدها في عملية التفسير عند الضمدي.

أهداف البحث:

جمع ترجيحات الضّمَدي المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن من بداية سورة المؤمنون إلى نهاية سورة ص في تفسيره (الفُراتُ النَّميرُ في تفسيرِ الكتاب المُنير)، ومعرفة قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن التي سار عليها في تفسيره، ومدى عنايته بها، وبيان أثر هذه القواعد في الدلالة على أرجح الأقوال في تفسيره.

هذا وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها:

عناية الضمدي بالترجيح بقواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن، وتطبيق ذلك في مواضع عديدة من تفسيره، وبمقارنة ترجيحات الضمدي مع غيره من المفسرين يظهر ذلك أن كثيراً من القواعد التي اعتمد عليها الضمدي قد اعتمد عليها غيره في ترجيحاتهم، وخاصة عند موافقته لتفسير السلف، كما ظهر أن تفسير الكشاف للزمخشري، من أهم مصادر الضَّمَدي في تفسيره الفرات النمير.

الكلمات المفتاحية: ترجيحات، الفرات النمير، الضمدي، سورة المؤمنون، سورة ص.

Research Title: The Preference Rules, Related to Hadith, Traditions, and Evidences, adopted by Al-Mutahhar bin Ali bin Mohammed Al-Damadi (1048AH) in his interpretation: (Al-Furat Al-Namir fi Tafsir Al-Kitab Al-Munir) from Surat Al-Mumenon to the end of Surat SAD

Researcher: Bushra Hajaj Ali Al-Thunayyan
Master's Degree in Tafsir and Hadith- Prince
Sattam Bin Abdulaziz University

Summary

The Research Problem:

Given the importance of a knowledge of the more correctly opinions in the Holy Qura'n interpretation, this research was made to study a set of Al-Damadi's preferences, related to Hadith, Traditions, and Evidences, stipulated in his interpretation: (Al-Furat Al-Namir fi Tafsir Al-Kitab Al-Munir) from Surat Al-Mumenon to the end of Surat SAD, and identify the function and benefits of preference rules, adopted by Al-Damadi in his interpretation.

The Research Objectives:

Collection of Al-Damadi's preferences, related to Hadith, Traditions, and Evidences, stipulated in his interpretation: (Al-Furat Al-Namir fi Tafsir Al-Kitab Al-Munir) from Surat Al-Mumenon to the end of Surat SAD, identify the preference rules, related to Hadith, Traditions, and Evidences, adopted in his interpretation, and clarify the effect of these rules to the superior opinions in his interpretation.

This study concluded several results, the most notable of which are:

The fact that Al-Damdi paid attention to preference rules, related to Hadith, Traditions, and Evidences, and included it in his interpretation, and by comparing Al-Damdi's preferences to that of other interpreters, we found that many of Al-Damdi's preference rules were used by other interpreters, especially the preferences that were compatible with the righteous forefathers' interpretation. It is worth noting that Al-Zamakhshari's Tafsir (Al-Kashshaaf) is the most important resource of Al-Damadi's Tafsir.

Keywords: Preferences, Al-Furat Al-Namir, Al-Damadi, Surat Al-Mumenon, Surat SAD

مقدمة

الحمد لله رب العالمين المتصف سبحانه بالعزة والعظمة والجلال، القيوم الحق الأزلي الدائم بغير زوال، المتفضل على عباده بجلائل النعم الكبير المتعال، نحمده تبارك وتعالى بالغدو والآصال، ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشك والشرك والضلال، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله كريم الخصال، أما بعد:

تلقى رسولنا ﷺ القرآن وحيًا من ربه فبلغه وأحسن تبليغه وتبيينه، وأمرنا بتدبره وفهمه، والعمل بمقتضى أحكامه وشريعته، والاعتبار بقصصه وأخباره، والاستنارة بتوجيهاته وهداياته، والتفكر في آياته ومعانيه، فأقبل الصحابة ﷺ على القرآن ودأبوا على امتثال أمره، وأحسنوا بيانه وتفسيره، ثم جاء من بعدهم التابعون وأتباعهم فنهجوا نهجهم، وبادروا في تصنيف مؤلفاتهم، وهكذا استمر الاهتمام بتعلم القرآن وتعليمه وتفسيره، تصنيفًا وتأليفًا في نواحٍ واتجاهات مختلفة متنوعة، وضمت المكتبات الكثير من التفاسير العظيمة.

وممن اهتم بذلك **المُطَهَّرِ بن علي بن محمد الضَّمَدِي (١٠٤٨هـ)**، فصنف تفسيره **(الفُراتُ النَّمِيرُ في تَفسيرِ الكتابِ المُنير)**، وقال عنه وعن تفسيره العلامة الشوكاني: "العالم المشهور المفسر النحوي مؤلف التفسير المسمى بالفرات وهو تفسيرٌ مفيدٌ جدًّا مع اختصاره يدلّ على قوّة ملكة صاحب الترجمة في العلوم ورسوخ قدمه في فنونٍ عدّة"[1]، وقد احتوى تفسيره على كثير من العلوم والنقول مع مناقشتها ونقدها وترجيح ما يراه راجحًا، ولاشك أن من أهم ما تحويه كتب المفسرين أقوالهم المختارة وترجيحاتهم المستنبطة من تدبرهم وملازمتهم لكتاب الله، فهي نتاج تأمل طويل، بُنيت على أصول وقواعد ترجيحية، ولأهمية هذه القواعد أتى هذا البحث بعنوان **(قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن عند المُطَهَّرِ الضَّمَدِي في تفسيره الفرات النمير (من سورة المؤمنون وحتى سورة ص)**.

مشكلة البحث:

تُعدّ ترجيحات المفسّرين مسار جدلٍ ونقاش، وتفسير الضَّمَدي قد حوى على ما يقارب ستمائة ترجيح، ونظرًا لأهمية معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله جاء موضوع البحث ليدرس مجموعة من ترجيحاته المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن الواردة في سورة المؤمنون وحتى سورة ص، والتعرف على قواعد الترجيح التي استعملها في ترجيحه بين الأقوال، وفوائدها في عملية التفسير عند الضمدي.

(١) البدر الطالع للشوكاني (٣١٠/٢).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- ضرورة دراسة قواعد الترجيح من حيث أثرها، خصوصاً عند وجود تنازع.

٢- كون قواعد الترجيح قسماً من قواعد التفسير التي تشكل أحد أصول التفسير.

٣- ندرة الدراسات المتعلقة بقواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن.

أهداف البحث:

١- جمع ترجيحات الضَّمَدي المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن من بداية سورة المؤمنون إلى نهاية سورة ص في تفسيره (الفُراتُ النَّميرُ في تفسيرِ الكتاب المُنير).

٢- معرفة قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن التي سار عليها الضمدي في تفسير الفرات النمير، ومدى عنايته بها.

٣- بيان أثر قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن عند الضمدي في تفسيره في الدلالة على أرجح الأقوال.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث اتباع المنهج الاستقرائي والتحليلي المقارن.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وفيها: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد، وفيه مبحثان:

الأول: ترجمة موجزة للعلامة الضَّمَدي، ومكانته العلميّة.

الثاني: التعريف بتفسير (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير).

الفصل الأول: معنى القاعدة والترجيح، وقواعد الترجيح والأسباب الموجبة له، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى القاعدة والترجيح، وقواعد الترجيح.

المبحث الثاني: الأسباب الموجبة للترجيح.

الفصل الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

المطلب الثاني: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه.

المبحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

المطلب الثاني: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم.

المبحث الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه.

المطلب الثاني: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك.

الخاتمة والمصادر، وفيها أبرز النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

ترجمة موجزة للعلامة الضَّمَدي، ومكانته العلميّة.

اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.

هو أبو محمد، جمال الدين[١]، المطهر[٢] بن علي بن محمد بن علي بن حسن بن إِبْرَاهِيم بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد النعمان بن حسين بن أبي القاسم بن حسين بن شبيب الضَّمَدي[٣] الشقيري[٤].

ولادته، ونشأته، وطلبه للعلم.

ولد الإمام المطهر الضمدي في قرية الشقيري، الواقعة على المجرى الأوسط لوادي ضمد، سنة أربع وألف من الهجرة النبوية، ليلة الأحد السادس والعشرين من شهر شوال[٥].

ونشأ نشأة حسنة في حجر والده القاضي علي بن محمد النعمان.

---

(١) وعن أخيه عبد الله بن علي النعمان، صاحب العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني قال: سراج الدين (ورقة ٤٨١).

(٢) وعن أخيه أيضًا في العقيق اليماني (مطهر) بدون (آل)، وكتب اسمه على طرة مخطوط الفرات النمير: (المطهر). وذكر المحبي في خلاصة الأثر (٤٠٣/٤)، أن اسمه مصطفى، وهو خطأ وتصحيف.
وقد ذكره المحبي نفسه باسمه الصحيح: (المطهر) في كتابه: نفحة الريحانة (٤٩٤/٤).
فقال: "اسمه المطهر، ومسماه طاهر، وفضله وأدبه، كلاهما زاه وزاهر".

(٣) نسبة إلى بلدة ضمد، بفتح الضاد وسكون الميم، وهو موضع بناحية اليمن بين اليمن ومكة على الطريق التهامي، على خط طول ٤٣ درجة وخط عرض ١٧ درجة، شمال شرق مدينة جازان، وتبعد عنها حوالي (٥٠) كيلو متر تقريبًا، وهي لا تزال عامرة وبنفس الاسم إلى وقتنا هذا. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٦٢/٣)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص:١٦٧).

(٤) الشقيري: قرية تقع شمال وادي ضمد، تحديدًا على المجرى الأوسط للوادي، تبعد عن ضمد حوالي ١٧ كم، وعن أبي عريش حوالي ٢٦ كم شمالاً، وهي لا تزال عامرة وبنفس الاسم إلى وقتنا هذا. ينظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (ص:١٥٨).

(٥) العقيق اليماني (ورقة:٤٨١).

قرأ القرآن في بلدة الشقيري، ثم توفي والده سنة ست عشرة وألف من الهجرة النبوية وهو في الثانية عشرة، فرحل لطلب العلم إلى مدينة صعدة(١)، وحفظ القرآن وجَوده على شيخه عبدالرحمن اليمني(٢)، وقرأ عليه شرح الجزرية للقاضي زكريا بن محمد الأنصاري.

وقرأ علوم الأدب والتفسير على السيد الطيب المؤيدي(٣)، والسيد داود الهادي(٤)، والقاضي أحمد بن يحيى بن حابس(٥).

وقرأ الأزهار وشرحه على الفقيه سعيد الهبل(٦).

وقرأ البحر الزخار على السيد أحمد بن المهدي المؤيدي(٧)، وبعضه على القاضي أحمد بن حابس، وغيرهم من علماء صعده.

ثم رحل إلى مدينة صنعاء، وقرأ على علمائها، فقرأ أصول الدين وأصول الفقه على السيد صلاح الحاضري(٨)، والإمام محمد بن عز الدين المفتي(٩)، والفقيه أحمد بن حسن الحازمي الضمدي(١٠)، وغيرهم من علماء صنعاء.

رحل عقب صنعاء إلى مدينة لحَج(١١)، وعدن(١٢)، وأخذ العلم عن علمائها.

---

(١) صعدة: من أقدم المدن اليمنية، تقع شمال صنعاء على بعد ٣٠٠ كم، وتعتبر حصن الزيدية ومستقر أئمتها منذ وصولهم إلى اليمن. ينظر: صفة جزيرة العرب للهمداني (ص:١١٣).

(٢) وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن صلاح الخولاني، كان نبيهًا فاضلاً، وفقيهًا عارفًا، حسن التلاوة للقرآن، ولي القضاء للإمام المؤيدي، توفي بعد سنة ١٠٥٤هـ. ينظر: مطلع البدور لأبي الرجال (٣٩/٣).

(٣) وهو أحمد السيد الطيب بن أحمد المؤيدي، كان معظمًا مبجلاً، له جهاد ورباط مع الإمام الحسن بن علي بن داود. ينظر: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة للمطهر الجرمزوي (٣٠٧/١).

(٤) وهو داود بن أحمد الهادي، من علماء الزيدية. ينظر: طبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم (٤٣٣/١).

(٥) وهو أحمد بن يحيى بن حابس الصعدي اليمني، أحد مشاهير علماء الزيدية، ولي قضاء صعدة. ينظر: طبقات الزيدية الكبرى (٢٣٤/١).

(٦) وهو سعيد بن صلاح الهبل، مرجع علماء الزيدية في علم الفروع، علامة فقيه مدقق، سكن في صعدة، وتتلمذ عليه كثيرون، توفي سنة ١٠٣٧هـ. ينظر: مطلع البدور (٣٣١/٢).

(٧) وهو أحمد بن المهدي المؤيدي، عالم بالفروع، اشتهر بالرئاسة والإمارة، توفي سنة ١٠٤٤هـ. ينظر: مطلع البدور (٤٨٥/١).

(٨) وهو صلاح بن عبدالله السراجي الحاضري، من كبار علماء وأدباء اليمن في عصره، اشتهر بالفصاحة وسرعة البديهة، توفي سنة ١٠٤٥هـ. ينظر: مطلع البدور (٤٨٦/٢).

(٩) وهو محمد بن عز الدين بن محمد بن صلاح القاسمي المؤيدي المفتي، عالم في أصول الفقه وفروعه، وكان مفتيًا على المذاهب الأربعة، توفي سنة ١٠٥٠هـ. ينظر: البدر الطالع (٢٠٢/٢).

(١٠) أحمد بن الحسن بن علي الحازمي الضمدي، كان عالمًا جليلاً، طلب العلم في صنعاء وصعدة، ثم عاد إلى بلاده آمرًا بالمعروف، ملازمًا للفتوى والتدريس، توفي سنة ١٠٢٥هـ. ينظر: العقيق اليماني (ورقة:٤٣٦).

(١١) لَحَج: موضع من سيف عدن، قبل نجران، وهي مدينة باليمن الآن، خرج منها علماء منهم ابن ميش، والفقيه محمد الفريضي. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١١٥٢/٤)، معجم البلدان (١٤/٥).

(١٢) عدن: وهي مدينة تجارة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وبها مرفأ مراكب الهند، وهي لا تزال عامرة وبنفس الاسم حتى الآن، وتبعد حالياً عن العاصمة صنعاء بمسافة تصل إلى حوالي ٣٦٣ كيلو متراً. ينظر: معجم البلدان (٨٩/٤).

وقرأ مفتاح الفرائض على أحمد بن عبده النعمان[١]، وأكثر من القراءة على أحمد بن علي النعمان[٢]. وتلقى الحديث سماعًا عن علماء اليمن، وله إجازات من شيوخه في الكتب الستة، وسيرة ابن هشام، والجامع الكافي، وتعلم علم القراءات، وحصل على إجازة في صعدة من الشيخ أحمد بن حابس والشيخ سعيد الهبل.

ثم عاد إلى موطنه ومسقط رأسه الشقيري وأقام بها عاكفًا على العبادة والفتوى، وكان مرجع العلماء يرجع إلى رأيه وترجيحه عند علماء المخلاف السليماني[٣]، واشتغل بالتأليف في فنون كثيرة[٤].

وفاته

بعد مرض عانى منه الإمام المطهر الضمدي ثلاثة عشر يومًا، ابتدأ به في يوم الثلاثاء، غرة شهر رمضان، توفي – رحمه الله – وقت صلاة العشاء، ليلة الثلاثاء الرابع عشر من شهر رمضان من العام الألف والثامن والأربعين[٥]، وهو العام الذي نص عليه أخيه في العقيق اليماني.

وأورد الشوكاني في البدر الطالع أنه توفي سنة ألف وتسعة وأربعين[٦].

التعريف بتفسير (الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير)

– اسم الكتاب:

ذكر الضمدي – رحمه الله – اسمين لتفسيره، وهما:

الأول: الفرات في تفسير مشهور القراءات.

أورد المؤلف هذا الاسم بعد انتهائه من تفسير سورة الكهف، حيث قال: "تم السفر الأول من الفرات النمير في تفسير مشهور القراءات"[٧].

الثاني: الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير.

ذكر الضمدي– رحمه الله – هذا الاسم في نهاية تفسيره، فقال: "وهذا ما قصدناه، ومنتهى ما أوردناه من تأليف هذا السفر الخطير، المسمى بالفرات النمير في تفسير الكتاب المنير"[٨].

وبهذا الاسم اشتهر تفسيره، وذكره كل من ترجم للضمدي رحمه الله.

---

(١) أحمد بن عبده النعمان: كان فقيهًا محققًا، عاملاً ناسكًا، لازم الفتوى حتى توفي سنة ١٠٢٤هـ. ينظر: العقيق اليماني (ورقة:٤٦٧)

(٢) أحمد بن علي النعمان، سليل أسرة علمية، شيخ لكثير من طلاب العلم في المخلاف السليماني، كان فقيهًا عالمًا محققًا، توفي سنة ١٤٠٩هـ. ينظر: العقيق اليماني (ورقة:٣٩٤).

(٣) المخلاف السليماني هي منطقة جازان حالياً، وتقع في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، كانت حدودها من الشرجة، إلى حلي بن يعقوب. ينظر: تاريخ المخلاف السليماني (٧١/١).

(٤) العقيق اليماني (ورقة:٤٨١-٤٨٢).

(٥) العقيق اليماني (ورقة:٤٨١-٤٨٢).

(٦) البدر الطالع (٣١٠/٢).

(٧) الفرات النمير (٢٥٣/٢)

(٨) المرجع السابق (٤٨٩/٣).

– قيمته العلمية وأهميته:

من أعظم الميزات لسفر الفرات النمير أنه أُلف لخدمة كتاب الله، ومن المعلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم، والكتاب متوازن في حجمه، فهو ليس بالمقتضب الذي غاب عنه كثير من المعاني، ولا المطول، بل راعي المؤلف فيه الزمان والمكان الذي عاش فيه.

كما أن لتنوع مصادر المؤلف بين المأثور واللغة أثر واضح في الكتاب فقد حوى تفسيره كثير من العلوم ووظفها أحسن توظيف لبيان معاني الآيات، وقوة مؤلفه العلمية من الناحية اللغوية أكسبت الكتاب قوة وتميزا.

فمن اهتمامه بالتفسير بالمأثور، أنه يفسر الآية بالقرآن أو الحديث أو أقوال السلف الصالح، وقد عزى الأقوال التفسيرية إلى قائليها غالبا.

وكذلك اهتم بالجانب اللغوي: بلاغة وإعرابا واشتقاقا، واختياراته وترجيحاته في هذا الباب دالة على تمكنه وبراعته به.

كما اهتم مؤلفه بالقراءات اهتمامًا بالغا، فلا تكاد تمر آية إلا وبيّن ما فيها من قراءات، مع توجيهه لها وبيان أثرها على معنى الآية غالبا.

واعتنى بعلوم القرآن وخاصة المكي والمدني، وعدّ الآيات، وأسباب النزول، فلا يكاد يشرع في تفسير سورة إلا ويصدرها بما يخصها من هذه العلوم.

وقد برزت شخصية المؤلف بوضوح كبير من خلال حسه النقدي البارع، واختياراته وترجيحاته التفسيرية المدلّلة، ومناقشاته واعتراضاته على كبار المفسرين، وتوظيفه لكافة إمكاناته العلمية في مختلف الفنون الشرعية والعربية في تفسيره.

الفصل الأول:

معنى القاعدة والترجيح، وقواعد الترجيح والأسباب الموجبة له.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول:

معنى القاعدة والترجيح، وقواعد الترجيح.

- **القاعدة** في اللغة: الأساس، قال ابن فارس: "قواعد البيت أساسه، وقواعد البيت أساسه، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضات في أسفله" (١).

وقال الله في محكم التنزيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧].

أما في الاصطلاح: فعرفت القاعدة بتعاريف كثيرة، منها:

الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها(٢)، وقيل: حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته(٣).

- **الترجيح** في اللغة: مصدر رجّح يرجح ترجيحًا، قال ابن فارس: "والراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة.

يقال: رجح الشيء، وهو راجح إذا رزن، وهو من الرجحان"(٤).

ومنه جاء الحديث الصحيح عن ابن عباس ﷺ قال: «كان اسم جويرية برة، فكأن النبي ﷺ كره ذلك، فسماها جويرية كراهة أن يقال: خرج من عند برة، قال: وخرج بعدما صلى فجاءها، فقالت: ما زلت بعدك يا رسول الله دائبة. قال: فقال لها: لقد قلت بعدك كلمات لو وزن لرجحن بما قلت، سبحان الله عدد ما خلق الله، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته»(٥).

وفي الإصطلاح: فقد عرف المفسرون بأنه: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوّيه، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٩/٥) مادة [قعد].
(٢) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير للفتوحي (٣٠/١).
(٣) المدخل الفقهي العام لمصطفى الزرقا (٩٦٥/٢).
(٤) معجم مقاييس اللغة مادة (رجح) (٤٨٩/٢).
(٥) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، (١٧٣/٤)، حديث (٢٣٣٤)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣٢/١).

- **التعريف بالمركب الإضافي (قواعد الترجيح):**

تعريف قواعد الترجيح كاسم مركب لم يتعرض له أحد من المتقدمين، وعرفه من المتأخرين الدكتور حسين الحربي، فقال: ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى(١).

المبحث الثاني:

الأسباب الموجبة للترجيح

إن طلب أصح الأوجه في تفسير كلام الله من أهم مقاصد طلب العلم وتحصيله، ودراسة التفسير خاصة، ولذلك مما ينبغي العلم به العلم بالتفسير الذي اتفق عليه العلماء، وأجمع عليه أهل الأمصار كإجماع الصحابة، أو إجماع التابعين، أو من بعدهم. فهو أصح وأعلى أنواع التفسير فيجب المصير إليه وحمل الآية عليه كاجماع المفسرين على تفسير المغضوب عليهم بأنهم اليهود، والضالين بأنهم النصارى في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧]، وغيرها من الآيات القرآنية التي وقع في تفسيرها الخلاف، وهذا الخلاف لا يخلو من أحد أربعة أمور:

١- أن تكون جميع الأقوال في الآية مُحتَمَلة، وكل الأقوال فيها حق، والنصوص شاهدة لكل واحد منها، فهذا الخلاف لا يدخل فيه ترجيح إذ يستقيم حمل الآية على كل قول منها، وليس بعضها أولى من بعض.

٢- أن تكون الأقوال متعارضة مع بعضها ويتعذر حمل الآية عليها جميعا، فلا بد أن يكون المراد أحدها، وغالب ذلك في المشترك، والمتواطئ المراد به أحد النوعين.

٣- أن تكون الأقوال غير متعارضة مع بعضها، وإنما يكون بعضها معارضا لآيات قرآنية، أو لنصوص صحيحة من السنة، أو لإجماع الأمة.

٤- أن تكون الأقوال المختلفة في الآية محتملة لعدة وجوه وليس بينها تعارض، غير أن بعضها أولى من بعض، لكون القرآن ودلالة ألفاظه تشهد لقول دون غيره، أو السنة تشهد لأحدها، أو لغة العرب، أو قرائن في السياق، أو أسباب أخرى تقضي بتقديم أحد الأقوال، وهذا ما يسمى تقديم الأولى(٢).

---

(١) المرجع نفسه (٣٢/١). قال الحربي: "لم أر أحدًا سبق في دراسة الموضوع دراسة مستقلة، وحدد معالمه ووضع حدوده، فالذين كتبوا في علوم القرآن وأصول التفسير، لم يتعرضوا إلى هذا الموضوع".

(٢) ينظر: المرجع نفسه (٣٤/١).

الفصل الثاني:

قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة:

المطلب الأول:

إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

بعض الآيات فسرها النبي ﷺ، ومع وجود هذا التفسير عنه نجد أحياناً كثيره أقوالاً أخرى في تفسير الآية، فإذا وجد ذلك، وثبت الحديث، وورد مورد التفسير والبيان للآية فيجب المصير إليه وحمل الآية عليه، فلا قول لأحد بعد رسول الله ﷺ.

ومن أمثلة ذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦]: "﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ أي ادعوا له بالتشريف والتكريم كما تصنع الملائكة.

وقال الزمخشري: "صلوا عليه وسلموا، أي: قولوا الصلاة على رسول الله والسلام"(١)، وهذا هو الأقرب لما رواه أبو مسعود البدري عن بشير بن سعد –رضي الله عنهما– أنه قال: للنبي ﷺ أمرنا الله أنْ نصلي عليك يا رسول الله فكيف نُصلي عليك فقال: «قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم»(٢) أخرجه مسلم وغيره.

ويعني بقوله: "كما قد علمتم" ما ثبت في صحيحهما عن ابن مسعود –رضي الله عنه– في صفة التشهد الذي علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال فيه: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»(٣)"(٤).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في هذه الآية: قولهم أن صلاة الناس على النبي ﷺ أي: قولوا الصلاة على رسول الله والسلام، وهو ما رجحه: الضمدي(٥).

---

(١) الكشاف (٥/٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٦٣٥٨) (٨/٧٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، برقم (٤٠٥) (١/٣٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب صفة الصلاة، باب التشهد في الآخرة، برقم (٨٣١) (١/١٦٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم (٤٠٢) (١/٣٠١).

(٤) الفرات النمير (٣/٢٠).

(٥) المرجع نفسه (٣/٢٠).

أما القول الثاني: فقالوا: أن معنى صلاة الناس على النبي ﷺ أي: ادعوا له بالتشريف والتكريم كما تصنع الملائكة، وهو ما رجحه: ابن عاشور(١).

والقول الأول جاء موافقاً لرواية أبو مسعود البدري، وعليه أعمل الضمدي ترجيحه وهو المؤيد للقاعدة الترجيحية: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره(٢).

المطلب الثاني:

إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه.

إذا تعددت أقوال المفسرين في تفسير الآية، فالقول الذي يؤيده خبر عن النبي ﷺ هو المقدم على غيره، لأن ورود معنى هذا القول في قول النبي ﷺ يدل على صحته، وترجيح غيره ترجيح بلا مرجح، ومخالفة لحديث النبي ﷺ دون مستند.

ومن أمثلة ذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦-٧٧]: "﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: الجوع، وذلك أن النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فاستعطفه أبو سفيان وناشده الله والرحم، فدعا الله سبحانه فكشفه عنهم(٣).

﴿بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال مجاهد: هو يوم بدر، وقيل الجوع، وقيل: القيامة، وهو الأظهر، وقيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني به يوم بدر، والأول أشهر"(٤).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في المراد بـ ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ في هذه الآية أن العذاب: هو الجوع، وهو ما رجحه: الضمدي(٥)، والشنقيطي(٦)، وذلك بناءً على ما روي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»(٧).

أما القول الثاني فقالوا: أن العذاب هو: القتل يوم بدر، وهو ما قال به: البيضاوي(٨)، والبِقاعِي(٩)، وأبو السعود(١٠).

(١) التحرير والتنوير (٩٧/٢٢).
(٢) قواعد الترجيح (١٧١/١).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، (٨٣/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان (٢١٥٥/٤) (٢٧٩٨).
(٤) الفرات النمير (٣٣٩/٢).
(٥) المرجع السابق (٣٣٩/٢).
(٦) أضواء البيان (٨٨٣/٥).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، (٨٣/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان (٢١٥٥/٤) (٢٧٩٨).
(٨) أنوار التنزيل (٩٢/٤).
(٩) نظم الدرر (٢١٥/٥).
(١٠) إرشاد العقل السليم (١٤٦/٦).

وعليه فإن القول الأول هو المؤيد للقاعدة الترجيحية: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ماخالفه(١).

المبحث الثاني:

قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار:

المطلب الأول:

إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

من أهم فوائد معرفة سبب النزول أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح، وهذا ما سلكه الأئمة الأعلام.

ومن أمثلة ذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦-٧٧]: "﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: الجوع، وذلك أن النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فاستعطفه أبو سفيان وناشده الله والرحم، فدعا الله سبحانه فكشفه عنهم.

﴿بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال مجاهد: هو يوم بدر، وقيل الجوع، وقيل: القيامة، وهو الأظهر، وقيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني به يوم بدر، والأول أشهر"(٢).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في المراد بـ ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ في هذه الآية أن العذاب: هو الجوع، وهو ما رجحه: الضمدي(٣)، والشنقيطي(٤)، لما جاء في سبب نزول الآية قبلها أن ثمامة بن أثال لما أسرته السرية وأسلم وخلى رسول الله ﷺ سبيله، حال بين مكة وبين الميرة وقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. فعن ابن عباس ﷺ قال: «جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا الْعِلْهِزَ - يعني الوبر والدم - فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٧٥]»(٥).

---

(١) قواعد الترجيح (١٨٣/١).
(٢) الفرات النمير (٣٣٩/٢).
(٣) المرجع السابق (٣٣٩/٢).
(٤) أضواء البيان (٨٨٣/٥).
(٥) أخرجه النَّسَائِيّ في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة المؤمنون (١٩٤/١٠)، رقم (١١٢٨٩)، وانظر: قصة ثمامة بن آثال، في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: وفد بني حنيفة، وقصة ثمامة بن آثال (١٧٠/٥) برقم (٤٣٧٢)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه (١٣٨٦/٣)، برقم (١٧٦٤).

أما القول الثاني فقالوا: أن العذاب هو: القتل يوم بدر، وهو ما قال به: البيضاوي[١]، والبِقاعِي[٢]، وأبو السعود[٣].

وعليه فإن القول الأول هو المؤيد للقاعدة الترجيحية: إن صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير[٤].

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤]: "﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ قال الزمخشري: "فيه وجهان: أحدهما: أن يؤمر بإنذار الأقربين فالأقربين كما قال ﷺ: «أول ما أضعه ربا العباس»[٥].

والثاني: بأن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة"[٦] .

والظاهر أن المراد بعشيرته قريش كلهم لما رواه البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: «لما نزلت هذه الآية صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال ﷺ: لو أخبرتكم أن خيلاً في الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تبًا لك ألهذا جمعتنا، فنزلت تبت يدا أبي لهب»[٧]"[٨].

فمن أقوال المفسرين التي وردت في المراد بالعشيرة في هذه الآية أن عشيرة الرسول هم قريش كلهم، وهو ما رجحه: الضمدي[٩]، بناءً على ما رواه ابن عباس، وهو المؤيد للقاعدة الترجيحية: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير[١٠].

أما القول الثاني فقالوا أن المراد بعشيرته: قرابته الأدنون، وهو ما قال به: الطبري[١١]، والزمخشري[١٢].

---

(١) أنوار التنزيل (٩٢/٤).
(٢) نظم الدرر (٢١٥/٥).
(٣) إرشاد العقل السليم (١٤٦/٦).
(٤) قواعد الترجيح (٢١٥/١).
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبيﷺ، برقم (١٩٠٥). وابن ماجه، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ، برقم (٣٠٧٤). وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (١٦٧٦).
(٦) الكشاف (٤١٩/٤).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾، (١١١/٦)، برقم (٤٧٧٠).
(٨) الفرات النمير (٣٩٤/٢).
(٩) المرجع السابق (٣٩٤/٢).
(١٠) قواعد الترجيح (٢١٥/١).
(١١) جامع البيان للطبري (٦٥٤/١٧).
(١٢) الكشاف (٤١٩/٤).

والذي يظهر لي أن الراجح – والله أعلم– أن قريشًا من قرابته، وأخص منهم في القرابة بنو عبد مناف، فعم وخص، وذلك لأن من معاني العشيرة في اللغة: القبيلة.

ويحتمل أن تكون الحادثة قد تكررت، قال ابن حجر: "احتمال أن تكون هذه القصة وقعت مرتين لكن الأصل عدم تكرار النزول"(١)، وقال: "وهذه القصة إن كانت وقعت في صدر الإسلام بمكة فلم يدركها ابن عباس لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة وفي نداء فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضي تأخر القصة لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراهقة وإن كان أبو هريرة حضرها فلا يناسب الترجمة لأنه إنما أسلم بعد الهجرة بمدة والذي يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة في صدر الإسلام ورواية ابن عباس وأبي هريرة لها من مرسل الصحابة وهذا هو الموافق للترجمة من جهة دخولها في مبتدأ السيرة النبوية ويؤيد ذلك ما سيأتي من أن أبا لهب كان حاضرا لذلك وهو مات في أيام بدر ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس"(٢).

المطلب الثاني:

تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم.

هذه القاعدة ترد تفاسير أصحاب الأهواء والبدع الذين خالفوا تفاسير الصحابة وتابعيهم بإحسان، فحملوا القرآن على معان اعتقدوها، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

وترجِّح فهم وتفاسير السلف على فهم وتفاسير أولئك القوم وبالجملة فأقوال السلف هي المعتمدة دون أقوال من خالفهم من أصحاب الأهواء والبدع.

ومن أمثلة ذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٩]: "﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: الجاحدين للنعمة، يقول ربيناك وقربناك، فكافيتنا أن قتلت منا نفسًا، وكفرت النعمة، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن: يعني وأنت من الجاحدين لإلهك الكافرين به قال ذلك افتراءً على موسى عليه السلام أو جهلاً بمذهبه لأنه كان يخفي التوحيد، والأول أصح"(٣).

(١) فتح الباري (٥٠٢/٨).
(٢) المرجع السابق (٥٢٢/٦).
(٣) الفرات النمير (٣٨١/٢).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في معنى الكفر في هذه الآية: أي: الجاحدين للنعمة، ويقصد بها التي لي عليك من التربية والإحسان، وهو ما رجحه: الطبري(١)، والنحاس(٢)، والضمدي(٣)، والآلوسي(٤)، والشنقيطي(٥).

أما القول الثاني فقالوا: أي وأنت من الجاحدين لإلهك الكافرين به، وكنت على ديننا هذا الذي تعيبه، قال به: الحسن(٦)، والسعدي(٧).

وعليه فإن الضمدي رجح القول الأول بناء على أنه قول أكثر المفسرين، مستنداً بالقاعدة الترجيحية: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم(٨).

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٩]: "﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ وتصرفك في أثناء الصلاة قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا.

﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ في جملتهم وعِدادهم، وقيل: المعنى أن يراك إذا صليت مع الجماعة، وقال الزمخشري: "لما نسخ قيام الليل طاف ﷺ تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة التلاوة"(٩). فيكون التقلب على هذا الوجه التردد والاختلاف في أصحابه وهو قول الحسن.

وقيل: المعنى: نرى تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى خرجت إلى هذه الأمة. وفيه بعد، والأول الصواب، وهو قول أكثر المفسرين"(١٠).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في معنى التقلب في هذه الآية: أي تصرفك في أثناء الصلاة قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا مع المصلين في الجماعة، وهو ما رجحه: الطبري(١١)، وابن عطية(١٢)، والضمدي(١٣)، والشنقيطي(١٤).

---

(١) جامع البيان للطبري (٥٥٦/١٧).
(٢) معاني القرآن للنحاس (٧١/٥).
(٣) الفرات النمير (٣٨١/٢).
(٤) روح المعاني (٦٨/١٠).
(٥) أضواء البيان (٤٠٩/٦).
(٦) جامع البيان للطبري (٥٥٦/١٧).
(٧) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٩٠).
(٨) قواعد الترجيح (٢٤٣/١).
(٩) الكشاف (٤٢٢/٤).
(١٠) الفرات النمير (٣٩٥/٢).
(١١) جامع البيان (٦٦٩/١٧).
(١٢) المحرر الوجيز (٢٤٦/٤).
(١٣) الفرات النمير (٣٩٥/٢).
(١٤) أضواء البيان (٤٢٨/٦).

أما القول الثاني فقالوا: أي: ترددك في تصفح أحوال المجتهدين، وهو ما قال به: الحسن(١).

وقيل معناه: نرى تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى خرجت إلى هذه الأمة، قال به: عطاء، وعكرمة عن ابن عباس(٢).

وعليه فإن الضمدي رجح القول الأول بناء على أنه قول أكثر المفسرين، مستنداً بالقاعدة الترجيحية: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم(٣).

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات:١٠١]: "والصحيح أن الغلام إسماعيل عليه السلام، وهو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول مجاهد والحسن، وابن المسيب، وعطاء، وغيرهم.

وأخرج الحاكم وغيره حديث الرجل القائل للنبي ﷺ يا ابن الذبيحين، وأن النبي ﷺ تبسم ولم ينكر عليه(٤). وسأل عمر بن عبدالعزيز حبرًا من اليهود أسلم عن الذبيح فقال: "يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم أنه إسماعيل ولكنهم يحسدونكم"(٥).

ومما يدل على ذلك دلالة ظاهرة: أن الله سبحانه بَشّرَ بإسحاق بعد ذلك(٦).

ومنها أن البشارة بإسحاق في سورة هود(٧) قد قرنت بولادة يعقوب فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقًا.

وأيضًا: فإن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة حتى احترقت أيام ابن الزبير"(٨).

فمن أقوال المفسرين التي وردت أن المقصود بالغلام هو الذي بشر الله به إبراهيم إسماعيل عليه السلام، وهو ما رجحه: أبو حيان(٩)، وابن كثير(١٠)، والثعالبي(١١)، والبِقاعِي(١٢)، والضمدي(١٣)، وابن عاشور(١٤).

---

(١) معالم التنزيل (١٣٤/٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ص:٢٨٢٨).
(٣) قواعد الترجيح (٢٤٣/١).
(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر إسماعيل بن إبراهيم، (٦٠٤/٢)، برقم (٤٠٣٦)، قال الذهبي في المختصر (١٠٠٩/٢): إسناده واه، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، (٥٠١/١) برقم (١٦٧٧).
(٥) ينظر: معالم التنزيل (٤٧/٧).
(٦) في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة الصافات:١١٢].
(٧) في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [سورة هود:٧١].
(٨) الفرات النمير (٧١/٣).
(٩) البحر المحيط (١١٩/٩).
(١٠) تفسير القرآن العظيم (٢٧/٧).
(١١) الجواهر الحسان (٤١/٥).
(١٢) نظم الدرر (٣٢٦/٦).
(١٣) الفرات النمير (٧١/٣).
(١٤) التحرير والتنوير (١٤٩/٢٣).

أما القول الثاني فقالوا: الغلام هو إسحاق، وهو ما قال به: الطبري[١]، والقرطبي[٢].

وعليه فإن الضمدي رجح القول الأول بناء على أنه قول أكثر المفسرين، مستنداً بالقاعدة الترجيحية: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٣].

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [سورة ص:٦٧]:"﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ يعني: القرآن كما قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ [سورة ص:٤٩].

وقال الزمخشري: "أي: هذا الذي أَنبَأتُكُم به مِن كوني مُنذِرًا وأن الله واحدٌ نبأٌ عظيمٌ لا يُعرض عن مثله"[٤]. والأول أصح، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما"[٥].

فمن أقوال المفسرين التي وردت في المراد بالنبأ أنه: القرآن، وهو ما رجحه: أبو السعود[٦]، والضمدي[٧].

أما القول الثاني فقالوا: أي: هذا الذي أَنبَأتُكُم به مِن كوني مُنذِرًا وأن الله واحدٌ نبأٌ عظيمٌ لا يُعرض عن مثله، وهو ما رجحه: ابن جزيّ[٨].

وعليه فإن الضمدي رجح القول الأول بناء على أنه قول أكثر المفسرين، مستنداً بالقاعدة الترجيحية: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٩].

(١) جامع البيان للطبري (٥٧٨/١٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٨).
(٣) قواعد الترجيح (٢٤٣/١).
(٤) الكشاف (٢٨٠/٥).
(٥) الفرات النمير (٩٤/٣).
(٦) إرشاد العقل السليم (٢٣٤/٧).
(٧) الفرات النمير (٩٤/٣).
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٩/٢).
(٩) قواعد الترجيح (٢٤٣/١).

المبحث الثالث:

قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن:

المطلب الأول:

القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ماخالفه.

القرينة هي: مايوضح المراد لا بالوضع، بل تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود، أو سابقه(١).

فعند خلاف المفسرين في تفسير آية من كتاب الله، وكان في السياق قرينة –إما لفظة، أو جملة، أو غيرها– تؤيد أحد الأقوال المقولة في الآية، فهو القول الأولى بتفسير الآية.

ومن أمثلة ذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة النور:٣٤]: "﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ أي: من أمثالهم، والمراد: القرآن كما قال: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والواو لتغاير الصفات، وقال الزمخشري: "معنى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ وقصة عجيبة مثل قصصهم يعني: قصة عائشة"، وفيه بعد"(٢).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في معنى قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: أي: ما ورد في القرآن من أخبار الأمم الماضية، وما حل بهم لظلمهم وتعديهم حدود الله، وهو مارجحه: الضمدي(٣).

أما القول الثاني فقالوا: أي: أنزلنا لك قصصًا عجيبة مثل قصصهم، وهي قصة براءة عائشة –رضي الله عنها– مما رميت به في حادثة الإفك فإنها كقصة يوسف ومريم –عليهما السلام– في براءتهما، وهو ما رجحه: الآلوسي(٤).

وعليه فإن الضمدي رجح القول الأول بناءً على ختام الآية، مستنداً بالقاعدة الترجيحية: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه(٥).

والذي يظهر لي– والله أعلم– أن الراجح هو القول الثاني، فقوله: ﴿وَمَثَلًا﴾ جاءت معطوفة على ﴿ءَايَٰتٍ﴾، لأن هذا ختام التشريعات والأحكام التي نزلت السورة لأسبابها، والآية جاءت في سياق براءة عائشة –رضي الله عنها– مما رماها به أهل الإفك، وذلك مذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [سورة النور:١١] إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [سورة

(١) الكليات للكفوي (ص:٧٣٤).
(٢) الفرات النمير (٣٥٢/٢).
(٣) المرجع السابق (٣٥٢/٢).
(٤) روح المعاني (٣٥٣/٩).
(٥) قواعد الترجيح (٢٦٩/١).

النور:٢٦] وهذا مماثل لما جاء في سورة يوسف في رمي امرأة العزيز يوسف بأنه أراد بها سوءا تعني الفاحشة مما تسبب في سجنه، وقد برأه الله من تلك الفرية التي افتريت عليه في نفس السورة بإقرار النسوة وامرأة العزيز نفسها، فقصة يوسف هذه مثل من أمثال من قبلنا، والمثل الذي أنزله إلينا في هذه السورة، شبيه بقصة يوسف؛ لأنه هو وعائشة كلاهما رمي بما لا يليق، وكلاهما برأه الله تعالى، وبراءة كل منهما نزل بها هذا القرآن العظيم.

ومن الآيات المبينة لبعض أمثال الذين من قبلنا ما ذكره الله تعالى عن قوم مريم من أنهم رموها بالفاحشة، لما ولدت عيسى من غير زوج، ثم بين الله تعالى براءتها مما رموها به في مواضع من كتابه.

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣]: "﴿دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول أي: لا تجعلوا ندائكم له كندائكم لبعضكم فتدعونه باسمه، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله بصوت خافض وتواضع، هذا قول مجاهد، وغيره، وبنى عليه الجلال، وقيل: معناه احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإنه مستجاب ليس كدعاء غيره، واختاره البغوي، وهو مروي عن ابن عباس، وقيل: المراد أجيبوا دعاء الرسول بسرعة كما قال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢٤] واختاره البيضاوي، وهو الأقرب بدليل ختام الآية وهو على الوجهين الأخيرين من إضافة المصدر إلى فاعله"(١).

فمن أقوال المفسرين التي وردت في معنى قوله تعالى: ﴿دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾: إذا احتاج رسول الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا وعلى هذا فالمصدر مضاف إلى الفاعل، وهو ما رجحه: الفخر الرازي(٢)، وابن جزيّ(٣)، وابن عادل(٤)، والضمدي(٥).

(١) الفرات النمير (٣٦٤/٢).
(٢) مفاتيح الغيب (٤٠/٢٤).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٠/٢).
(٤) اللباب (٤٥٦/١٤).
(٥) الفرات النمير (٣٦٤/٢).

أما القول الثاني فقالوا: احذروا دعاء الرسول ﷺ عليكم، وعلى هذا يكون المصدر مضاف إلى الفاعل، وهو ما رجحه: الطبري(١)، والنحاس(٢)، ومكي(٣)، والقاسمي(٤).

وقيل: نهاهم الله عن أن يدعوا الرسول عند مناداته كما يدعو بعضهم بعضا في اللفظ أو في الهيئة، وهو ما رجحه: ابن عطية(٥)، وأبو حيان(٦)، وابن كثير(٧)، والشنقيطي(٨).

وعليه فإن الضمدي رجح القول الأول بناءً على دلالة السياق للأمر الجامع والأمر بالاستئذان في الآية التي قبلها، والتحذير في الآية نفسها من مخالفة أمره ﷺ والخروج بغير أذنه، عملاً بالقاعدة الترجيحية: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه(٩).

والذي يظهر لي- والله أعلم- أن القول الثالث راجح كذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ [سورة البقرة:١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [سورة الحجرات:٢-٤]، وتفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير.

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ [سورة النمل:٣٦]: "﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ أي: رسولها المفهوم من السياق. وقيل: ما أهدته المفهوم من الهدية والأول أصح لقوله ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾"(١٠).

فمن أقوال المفسرين التي وردت فيمن المقصود بـ﴿جَآءَ﴾ أنه: رسول ملكة سبأ لنبي الله سليمان عليه السلام،

(١) جامع البيان للطبري (٣٨٨/١٧).
(٢) معاني القرآن للنحاس (٥٦٥/٤).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (ص:٥١٦٥).
(٤) محاسن التأويل (٤١٢/٧).
(٥) المحرر الوجيز (١٩٨/٤).
(٦) البحر المحيط (٧٥/٨).
(٧) تفسير القرآن العظيم (٨٨/٦).
(٨) أضواء البيان (٦/ ٢٧٨).
(٩) قواعد الترجيح (٢٦٩/١).
(١٠) الفرات النمير (٤٠٧/٢).

وهو ما رجحه: السَّمَرْقَنْديّ[١]، والضمدي[٢]، والآلوسي[٣]، وابن عاشور[٤].

أما القول الثاني فقالوا: هدية ملكة سبأ لنبي الله سليمان عليه السلام، وهو ما قال به: مكي[٥]، والبغوي[٦]، والقرطبي[٧]، وابن كثير[٨].

والقول الأول هو المؤيد للقاعدة الترجيحية: القول الذي تؤيده قرينة في السياق مقدم على ما خالفه[٩]، لوجود قرائن في السياق كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة النمل:٣٥]، فالإرسال يقتضي رسولا، ومخاطبة سليمان عليه السلام للرسول وإنكاره الهدية حين قال تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ و﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النمل:٣٧]، فخاطب رسولها وأمره أن يرجع إليها بهديتها، وعليه أعمل الضمدي ترجيحه.

المطلب الثاني:

القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ماعدم ذلك.

إذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله، وكان أحد الأقوال تؤيده آية أو آيات أخرى، أو قراءة متواترة في نفس الآية، فهو أولى بحمل الآية عليه، لأن تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته.

ومن أمثلة ذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [سورة النور:٣٣]: "﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للموالي بأن تحطوا عنهم من مال الكتابة قسطًا يعد مالاً.

وقيل: وجوبًا، وقيل: ندبًا، وقيل: وآتوهم: أمر للمسلمين بأن يعينوهم من الصدقات كقوله: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [سورة البقرة:١٧٧] واختاره الزمخشري، وهو أظهر"[١٠].

فمن أقوال المفسرين في تحديد المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم﴾: أن الخطاب للمسلمين عامة وقال بعضهم أن الخطاب خاص بالولاة، فيكون المال النصيب الذي فرض الله لهم من الزكاة أو من الصدقات. وهو ما رجحه: الطبري[١١]، والضمدي[١٢].

---

(١) بحر العلوم (٤٩٦/٢).
(٢) الفرات النمير (٤٠٧/٢).
(٣) روح المعاني (١٨١/١٠).
(٤) التحرير والتنوير (٢٦٧/١٩).
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (ص:٥٤٢٤).
(٦) معالم التنزيل (١٦٢/٦).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/١٦).
(٨) تفسير القرآن العظيم (١٩٠/٦).
(٩) قواعد الترجيح (٢٦٩/١).
(١٠) الفرات النمير (٣٥١/٢).
(١١) جامع البيان للطبري (٢٨٢/١٧).
(١٢) الفرات النمير (٣٥١/٢).

أما القول الثاني فقالوا: أن الخطاب للمُكاتِبين، وهو أن يعطوهم شيئًا من المال وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة، وهو ما رجحه: أبو حيان(١)، وابن كثير(٢)، والآلوسي(٣)، وابن عاشور(٤).

وبما أنه لاحق لأحد في مال أحد من المسلمين إلا ما أوجبه الله لأهل الصدقة، ومال الكتابة مال للسيد، فيكون الحق الذي أوجبه الله للمكاتب هو نصيبه من الزكاة المفروضة والصدقات، قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] .

والمكاتب من أصناف الصدقة الثمانية المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٠].

فيكون القول الأول هو المؤيد للقاعدة الترجيحية: القول الذي تؤيده آيات من القرآن مقدم على ما سواه(٥)، وعليه استند الضمدي في ترجيحه.

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٥]: "﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الضمير لموسى وهارون تعظيمًا، كما يخاطب الواحد بضمير الجمع.

وقال البيضاوي: "لهما، ولفرعون"(٦).

وفيه بعد لقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾"(٧).

فمن أقوال المفسرين في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أنه لموسى وهارون، وهو ما رجحه: النحاس(٨)، والضمدي(٩).

أما القول الثاني فقالوا: الضمير لموسى وهارون، ولفرعون.

وهو ما قال به البيضاوي(١٠).

---

(١) البحر المحيط (٤٠/٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٣/٦).
(٣) روح المعاني (٣٤٩/٩).
(٤) التحرير والتنوير (٢٢٠/١٨).
(٥) قواعد الترجيح (٢٨١/١).
(٦) أنوار التنزيل (١٣٥/٤).
(٧) الفرات النمير (٣٨٠/٢).
(٨) معاني القرآن للنحاس (٦٧/٥).
(٩) الفرات النمير (٣٨٠/٢).
(١٠) أنوار التنزيل (١٣٥/٤).

والقول الأول مؤيد بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٦]، كما بين الله ﷻ استجابته لموسى بقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [سورة القصص: ٣٥]، والقول الذي تؤيده آيات من القرآن مقدم على ما سواه(١).

ومن الأمثلة كذلك عند الضمدي قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ [سورة ص: ٥٩]: "﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ دعاء من المتبوعين على التابعين، أي: لا أتيتم مرحبًا أي رحبًا وسعة وقيل: هو من كلام الملائكة، والأول أولى بدليل قوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ [سورة ص: ٦٠] فإنَّه خطابٌ للمتبوعين قطعًا"(٢).

فمن أقوال المفسرين في تحديد القائل في قوله تعالى: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ أنه دعاء من المتبوعين على التابعين، أي: لا أتيتم مرحبًا أي رحبًا وسعة، وهو ما رجحه: القرطبي(٣)، وأبو حيان(٤)، والضمدي(٥)، والشوكاني(٦).

أما القول الثاني فقالوا: هو من كلام الملائكة.

والقول الأول يتوافق معناه مع معنى قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ [سورة الأعراف:٣٨]، وقوله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٦]، وقوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٢٧] والقاعدة الترجيحية: القول الذي تؤيده آيات من القرآن مقدم على ما سواه(٧).

(١) قواعد الترجيح (٢٨١/١).
(٢) الفرات النمير (٩٣/٣).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٨).
(٤) البحر المحيط (١٦٩/٩).
(٥) الفرات النمير (٩٣/٣).
(٦) فتح القدير (٥٨١/٤).
(٧) قواعد الترجيح (٢٨١/١).

الخاتمة

الحمد لله على ما أعان ويسر، والشكر له على توفيقه وفضله، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه سبحانه وتعالى.

وقد وصلت في خاتمة هذا البحث اليسير إلى بعض النتائج، ومنها:

١- عناية الضمدي بقواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن، وتطبيق ذلك في مواضع عديدة من تفسيره.

٢- أهمية قواعد الترجيح في التفسير، لموازنتها بين أقوال المفسرين، ومعرفة القول الراجح من المرجوح.

٣- تساعد قواعد الترجيح في تصفية كتب التفسير مما لحق بها من أقوال شاذة أو دخيلة.

٤- موضوع قواعد الترجيح معتمد على السبر والمقارنة والمناقشة والموازنة والترجيح المقترن بالدليل والتعليل، مما يكسب الباحث ملكة علمية في مجال التفسير.

٥- بمقارنة ترجيحات الضمدي مع غيره من المفسرين يظهر ذلك أن كثيراً من القواعد التي اعتمد عليها الضمدي قد اعتمد عليها غيره في ترجيحاتهم، وخاصة عند موافقته لتفسير السلف.

٦- تفسير الكشاف للزمخشري من أهم مصادر الضمدي في تفسيره.

التوصيات:

- طرح مشروع يجمع ما خرج من بحوث في ترجيحات المفسرين، ثم ترتيبها وتنسيقها، لتصبح موسوعة الترجيح عند المفسرين، أو موسوعة التفسير على القول الراجح.

المراجع والمصادر

- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار عالم الفوائد.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (١٤١٨هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة، بيروت.
- العقيلي، محمد بن أحمد (١٤١٠هـ-١٩٨٩م)، **تاريخ المخلاف السليماني**، مطابع الوليد، ط٣.
- التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (١٩٨٤هـ)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس.
- الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
- بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، ط:١.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، **تفسير القرآن العظيم**، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، مكة - الرياض، ط١.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان، ط١.
- الطبري، لمحمد بن جرير (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١.

- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١.
- المحبي، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، بيروت.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- الربعي، محمد بن يزيد بن ماجه، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- الأزدي، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، **السنن الكبرى**، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١.
- بن داود، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (١٨٨٤م)، **صفة جزيرة العرب**، مطبعة بريل، ليدن.
- بن القاسم، إبراهيم بن القاسم بن محمد (١٣٢١هـ- ٢٠٠١م)، **طبقات الزيدية الكبري**، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجية، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، ط١.
- النعمان، عبد الله بن علي، **العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني**، مخطوط برقم ٧٧٠٨ق ٢/١٤٨٨، مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، القرن ١٢هـ تقديراً.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (١٣٧٩هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (٢٠٠٨م)، **فتح القدير**، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء.

- الضمدي، المطهر بن علي بن محمد (١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م)، **الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير**، تحقيق: محمد بن أحمد بن محمد الحواش، وآخرون، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه- تبيان، ط١.
- الحربي، د.حسين بن علي (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، **قواعد الترجيح عند المفسرين**، دار القاسم للنشر، ط٢.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (١٤١٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، مكتبة العبيكان، ط١.
- الكفوي، أيوب بن موسى (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.
- الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١.
- الفتوحي، **مختصر التحرير شرح الكوكب المنير**، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢.
- الزرقا، مصطفى أحمد (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، **المدخل الفقهي العام**، دار القلم، دمشق، ط٢.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (١٤١١هـ- ١٩٩٠م)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١.
- الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- بن أبي الرجال، أحمد بن صالح (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)، **مطالع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية**، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، تحقيق: عبد الرقيب مطهر محمد حجر.

- شراب، محمد بن محمد حسن (١٤١١هـ)،**المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، ط١.
- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (١٤١١هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة، الرياض.
- النحاس، أحمد بن محمد (١٤٠٩هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المرمة، ط١.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (١٩٩٥م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط٢.
- العقيلي، محمد بن أحمد (١٣٨٩م)، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – مقاطعة جازان (المخلاف السليماني)**، دار اليمامة، الرياض، ط١.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (١٤٠٣هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب – بيروت، ط٣.
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (١٤٠١هـ– ١٩٨١م)، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط١.
- الجرموزي، المطهر بن محمد (٢٠٠٨م)، **النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة**، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، اليمن.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (١٤١٥هـ– ١٩٩٥م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م)، **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية،ط١.
- القيسي، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار (١٤٢٩ هـ–٢٠٠٨ م)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١.